# مرابع الإحسان

## شرح

# المعاني الحسان

لمعالي الشيخ الدكتور

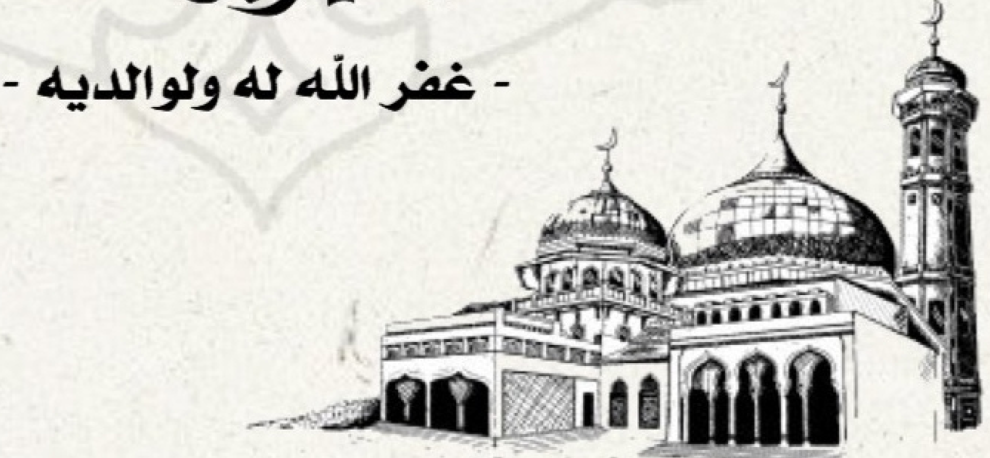
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

تصنيف

الصغير بن عمار

- غفر الله له ولوالديه -



النسخة الأولى

1441 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فهذا جزء لطيف في شرح قصيدة مَليحة عذبة لشيخنا المتفنن العلامة صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي – عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية – أعانه الله وسدَّده وأعظمَ في الخلق نفعه، وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا.

### التعريف بالقصـيدة

وقد أنشدها فضيلتُه في آخر شرحه على منظومة «السير إلى الله والدار الآخرة» للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وقد سمَّاها «المعاني الحسان في نصح أهل الإيمان».

فقوله: (المعاني الحسان) يدلُّ على أن هذه المنظومة –وعدتها خمسةٌ وعشرون بيتا– **قد احتوَت على معانٍ رائقة مليحة، وسِيقَت بألفاظٍ عذبةٍ فَصيحة.**

وفي قوله: (في نصح أهل الإيمان) أي أن الذي حدا الشيخ –سدَّده الله تعالى– إلى نظمها وبثِّها بين طلاب العلم والمسلمين عامة، هو نصح أهل الإيمان، أي المنتسبين لملة الإسلام والتوحيد.

وهذا منه –حفظه الله– داخل في قول الله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧]، وتطبيق لقول رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**».[1]

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: «**لم يُدرك عندنا من أدرك بكثرة الصيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة**».[2]

وقال ابن سعدي رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «**صلاحُ القلب بكمال الإنابة إلى الله وقوة التوكل عليه، وتَمامِ الإخلاص له، ومَحبَّةِ الخير لكافة الخلق، وفسادُه ونَقصُه بضدِّ ذلك**». انتهى.

## النصح والتعليم من حقوق الأخوة الإيمانية، وهو وظيفة الأنبياء والعلماء

ومن أنواع النصيحة **تعليمُ جاهلهم، وردُّ من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحق**، والرفقُ بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضررٍ للناصح في دنياه.[4]

وذكر أهلُ العلم أنَّ من حقوق الأخوة النُّصحَ والتعليمَ، إذ ليست حاجة المسلم إلى العلم بأقلَّ من حاجته إلى المال.[5]

**ومن حِكَمِ أبي الدرداء** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله** عَزَّوَجَلَّ **من**

---

1- رواه مسلم (55).

2- رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (8/ 103).

3- «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» (ص 11).

4- انظر «جامع العلو موالحكم» (1/ 234)، و«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (1/ 44، وما بعدها)، للسفاريني رَحِمَهُٱللَّهُ.

5- انظر «مختصر منهاج القاصدين» (ص 102).

**موعظة يعِظُ بها قومَه، فيفترِقون قد نفعَهم الله ﷻ بها»**.[6]

**وهذه هي وظيفة الأنبياء** عليهم السلام، كما أخبر الله بذلك عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿**وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٢]، وعن هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي قال لقومه: ﴿**وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف: ٦٨]، وعن صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي قال بعد أن أهلك الله قومَه: ﴿**وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ**﴾[الأعراف: ٧٩].

**وهذه أيضا وظيفة أتباع الأنبياء من الناصحين والعلماء**، وقد أوضح هذا الأصل العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بقوله[7]: «**لا توجد في الإسلام «وظيفة» أشرف قدرًا، وأسمى منزلة، وأرحب أفقًا، وأثقل تبعة، وأوثق عهدًا، وأعظم أجرًا عند الله، من وظيفة العالم الديني!** ذلك لأنه وارث لمقام النبوَّة، وآخذ بأهم تكاليفها وهو الدعوة إلى الله وتوجيه خلقه إليه وتزكيتهم وتعليمهم وترويضهم على الحق حتى يفهموه ويقبلوه، ثم يعملوا به ويعملوا له.

فالعالم، بمفهومه الديني في الإسلام، قائد ميدانه النفوس، وسلاحه الكتاب والسنة وتفسيرهما العملي من فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وفعل أصحابه، وعونه الأكبر على الانتصار في هذا الميدان أن ينسى نفسه ويذوب في المعاني السامية التي جاء بها الإسلام، وأن يطرح حظوظها وشهواتها من الاعتبار، **وأن يكون حظه من ميراث**

---

6- «صفة الصفوة» (1/ 242). وانظر «شرح منظومة السير إلى الله»، للمؤلف.

7- «الآثار» (4/ 109).

**النبوَّة أن يزكي ويعلم** وأن يقول الحق بلسانه ويحققه بجوارحه، وأن ينصره إذا خذله الناس، وأن يجاهد في سبيله بكل ما آتاه الله من قوة». انتهى.

نَـــــصَحُوا الخليقَـــةَ فِي رِضَى مَحبُـــوبِهِم    بِــــالعِلمِ والإِرشَـــادِ وَالإحـــسَــــــانِ

**قال ابن سعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[8]: «**ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة،** وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين». انتهى.

**وأحسب شيخنا العصيمي** –حفظه الله تعالى– **من أهل العلم الناصحين للأمة، المرابطين في سبيل التعليم والدعوة، ولا أزكي على الله أحدا.**

ومن هذا الباب، ورَدًّا لإحسان الشيخ وجميله عليَّ، استخرت الله في كتابة هذا الشرح المتوسط على هذه القصيدة اللطيفة، فإني لا أعلم –إلى هذا اليوم– شرحا عليها لا لناظمها، ولا لأحد من طلاب العلم.

وسميت هذه الرسالة –بإشارة من شيخنا صالح العصيمي–: «**مَرابع الإحسان شرح المعاني الحسان**».

**والـمَرابِـعُ**: جمع مَرْبَع، وهو الموضع الذي يُقَام فِيهِ زمنَ الرَّبيع.[9]

وبدأت –بعون الله– جمع هذا الشرح صباح الأربعاء 24 رجب 1441، الموافق لـ 18 مارس، وأنهيته ليلة الثلاثاء 07 شعبان من نفس السنة، الموافق لـ 31 مارس 2020،

8- «القول السديد» (ص 27-30).

9- «المعجم الوسيط» (ص 325).

**وأنا محبوس –كغيري من المسلمين- عن الجمعة والجماعات، بسبب ما حَلَّ بالعالم من «وباء كورونا»، عجَّل الله برفعه عن الأمة.**

**وألقيت درسا صوتيا في شرح هذه القصيدة** عبر شبكة الأنترنت[10] ليلة الأحد 27 رجب 1441، الموافق لـ 22 مارس 2020، وشرفني شيخُنا العصيمي باستماعه، فجزاه الله خيرا، وزاده رفعة في الدنيا والآخرة. آمين.

**وفي الختام، أشكر أخي وصديقي الناصح الوفي عبد الله ماركيس الفرنسي على مراجعة الرسالة، واقتراح عناوينَ جانبيَّةً لها،** مع ملاحظات أخرى نفيسة، كعادته –وفقه الله وبارك في علمه وعمله-.

واللهَ أسأل أن يَلطُفَ بِنا، وأن يَرزُقَنا العَفو والعافِيَـة والمُعافاةَ الدائمَةَ في الدين والدنيا، وأن يجعل أعمالَنا لوجهه خالصة، ولسنة نبيِّه موافقة، وصلَّى اللهُ على نبينا محمد وآلِه وصحبه وسلَّم.

**وكتب: الصغيِّـر بن عمَّـار**

لـيـلـة الثــلاثـاء 07 شـــعبـان عــام 1441،

الموافق لـ 31 مارس 2020، بـــمدينة «لــيون» بـفـرنـسا

10- **من أراد استماعه فهو منشور على هذا الرابط:** https://bit.ly/2Jr3Dw1

وقد قام بتفريغ هذا الدرس أخونا الفاضل الخَلوق خير الدين بن أبي بكر الغول –وفقه الله لكل خير-. واستفدت من هذا التفريغ في بعض المواطن، فشكر الله سعيه وأصلح له الذرية.

## نص قصيدة «المعاني الحسان في نصح أهل الإيمان»

قال شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي –أعظمَ الله في الخلق نفعَه–:

يَــا أَيُّهَــا الْعَبْــدُ الْــمُرِيدُ نَجَاتَــهُ ... جِــدَّ الْــمَسِيرُ لِــجَنَّةِ الرِّضْــوَانِ

فَقْــرُ الْقُلُــوبِ إِلَى الْإِلَــهِ ضَرُورَةٌ ... يَــا وَيْــلَ قَلْــبٍ بَــاءَ بِالْــحِرْمَانِ

إِنْ كَــانَ جِسْــمُكَ بِالْغِــذَاءِ مُنَعَّــمًا ... كَيْــفَ السَّــعَادَةُ دُونَــهَا عِرْفَــانِ[11]

مَــنْ كَــانَ يَفْقِــدُ رَبَّــهُ فِي قَلْبِــهِ ... أَنَّــى يَــذُوقُ حَــلَاوَةَ الْإِيــمَانِ

كُــلُّ الْــمَطَالِبِ قَــدْ تُنَــالُ بِــدِرْهَمٍ ... إِلَّا الْــمَصِيرُ لِــمَنْزِلِ الْإِحْسَــانِ

فَيَنَالُــهُ مَــنْ كَــانَ يَمْــلَأُ قَلْبَــهُ ... حُــبُّ الْإِلَــهِ مُعَظِّــرُ الْأَرْكَــانِ

وَرَجَــاؤُهُ أَبَــدًا مُؤَمَّــلَ رَبِّــهِ ... وَمَخَافَــةُ التَّعْظِــيمِ لِلــدَّيَّانِ

إِنَّ الْــحَيَاةَ حَقِيقَــةً فِي دِينِــهِ ... وَالْــمَوْتُ كُــلُّ الْــمَوْتِ فِي الْكُفْرَانِ

طَاعَاتُــهُ سَــبَبٌ يُمِــدُّ[12] حَيَاتَنَــا ... وَمَــوَاتُ قَلْــبِ الْعَبْــدِ فِي النُّكْــرَانِ

مَــنْ كَــانَ يَحْسَــبُ أُنْسَــهُ فِي مَالِــهِ ... وَيَظُــنُّ أَنَّ الْفَــوْزَ فِي الطُّغْيَــانِ

قُطِــعَ اللَّئِــيمُ عَــنِ الْإِلَــهِ وَحُبِّــهِ ... فَهَــوَى بِــهِ سُــفْلًا إِلَى الْــخُسْــرَانِ

سَــيْرُ الْقُلُــوبِ إِلَى الْإِلَــهِ يَدُلُّــهَا ... لِلْفَــوْزِ فِي الــدَّارَيْنِ يَــا إِخْــوَانِي

قَلْــبُ الْــمُوَحِّدِ لَا يَطُــوفُ بِكَعْبَــةٍ ... قَــدْ دُنِّسَــتْ بِمَطَالِــبِ الْإِنْسَــانِ

فَطَوَافُــهُ شَــوْقًا بِحَضْــرَةِ قُدْسِــهِ[13] ... وَمَنَــازِلٍ تُفْضِــي إِلَى الْإِيقَــانِ

---

11- أي: معرفةٍ قلبيَّةٍ بالله.

12- يُقوِّي.

اللهُ أَوْلَى[14] إِنْ أَرَدْتَ عِبَادَةً ... خَابَ الْمُشَرِّكُ وَالْجَحُودُ الْوَانِي[15]

فَارْبَأْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَكُونَ مُدَنَّسًا ... بِنَجَاسَةِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّيْطَانِ

طُهْرُ الْقُلُوبِ – وُقِيتَ مِنْ أَدْرَانِهَا – ... أَوْلَى مِنَ الْأَثْوَابِ وَالْأَرْدَانِ

نَظَرُ الْإِلَهِ إِلَى الْقُلُوبِ مَحَلُّهُ ... لَا صُورَةٍ كَلَّا وَلَا لِلْفَانِي[16]

فَإِذَا أَرَدْتَ سَلَامَةً مِنْ لَوْمَةٍ ... فِي لِبْسَةٍ أَوْ شَمَّةِ الْأَنْتَانِ

فَاخْشَ الْإِلَهَ بِأَنْ يَرَاكَ مُوَسَّخًا ... فِي لُجَّةٍ[17] تَغْلِي مِنَ الْعِصْيَانِ

وَاطْلُبْ هُدِيتَ مَنَازِلًا تَعْلُو بِهَا ... فَوْقَ الْعِبَادِ بِجَنَّةِ الرَّحْمَنِ

إِنْ فَاتَ زَوْجٌ أَوْ تَلَقُّفُ لُقْمَةٍ ... مَا فَاتَ إِلَّا مُنْعِمُ الْحَيْوَانِ

خُسْرُ الْخَلِيقَةِ أَنْ تَكُونَ بِمَعْزِلٍ ... عَنْ مِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

هَذَا الطَّرِيقُ إِلَى الْإِلَهِ فَشَمِّرُوا ... لَا تُحْبَسُوا فِي خَنْدَقِ الْحِرْمَانِ

هَتَفَ الْمُنَادِي حَادِيًا فِي جَمْعِكُمْ ... جَدَّ الْمَسِيرُ لِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ

---

=

13- أي: بجلال ربِّه.

14- ليست أفعل التَّفضيل على وجهها؛ بل هي لإرادة استحقاق الله وحده للعبادة.

15- الضَّعيف الفاتر.

16- أعراض الدُّنيا الزَّائلة.

17- اللُّجَّة: المُستعظَم من الماء.

# شرح القصيدة

## النجاة الحقيقة وبيان عوائقها

**استفتح شيخنا** –نفع الله به– **هذه القصيدة بقوله:**

يَـا أَيُّهَـا الْعَبْـدُ الْـمُرِيدُ نَجَاتَـهُ جَـدَّ الْـمَسِيرُ لِـجَنَّةِ الرِّضْـوَانِ

فبدأ ببيان ما يُنجي العَبدَ في الدنيا والآخرة، وهو حَثُّ السير إلى الله وجنَّته، فقال: (جَدَّ الْـمَسِيرُ لِـجَنَّةِ الرِّضْوَانِ).

**وفي هذا فوائد:**

**أولها**: أنَّ العبد في هذه الدنيا يطلُب النجاة لنفسه، ويجتهد لفَكاك رقبته من النار.

**وثانيها**: أنَّ هذه النجاة كائنة في الدنيا، بالسلامة من كل ما يُكَدِّرُ السير إلى الله، ويقطع الطريق الموصل إليه، ويصد عن الإقبال عليه، وهذه هي العوائق، وأشدها الشرك ثم البدعة ثم المعصية.

**وزوال هذه العوائق يكون:** [18]

- بتجريد التوحيد،
- وتحقيق السنة،
- وتصحيح التوبة.

**وثالثها**: أنَّ ثمرة النجاة من هذه المكدِّرات في الدنيا هي النجاة من عذاب الله في الآخرة، ولهذا سُمِّيَ أهلُ السنة بالفرقة الناجية، بالنظر إلى هذه الأصول، أي أنهم نجوا

---

18- انظر «الفوائد» (ص 188)، لابن القيم.

من الباطل الموجب لسخط الله في الدنيا، ومن الجحيم الذي أعده الله لأعدائه في الآخرة.

**ورابعها**: أنَّ التخلية –وهي النجاة من المهلكات– لا تتم إلا بالتحلية –وهي الإقبال على الطاعات–، وبهذا يجمع السائر إلى الله بين درء الرذائل والقبائح وتحقيق الفضائل المصالح.

**وخامسها**: أنَّ السير إلى الله[19] يحتاج جِدًّا وصدقا، وإليه أشار الناظم بقوله: (**جَدَّ الْـمَسِيرُ**).

وقال الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ الأعراف: ١٤٥، وقال لنبيِّه يحي بن زكريا عليهما السلام: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم: ١٢]، بجد وحرص واجتهاد، مع عزم على الطاعة وثبات.[20]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية»:

يـــا قاعِـــدًا ســـارَت بـــه أنفاسُـــهُ ... سَـــيرَ البَريـــد ولـــيس بالـــذَّمْلانِ

حتـــى متـــى هـــذا الرُّقـــادُ وقـــد سَرَى ... وَفْـــدُ المحبَّـــة مـــعْ أولي الإحســـانِ

**والذَّملانُ**: من يسير سيرًا ليِّـنـًا.

19- وسيأتي –إن شاء الله– الكلام عن حقيقته.

20- انظر «تفسير ابن كثير» (5/ 216)، و«تفسير ابن عاشور» (16/ 75).

## الفقر إلى الله حقيقة قلبية وضرورة إيمانية

**ثم قال** -حفظه الله-:

**فَقْـــرُ الْقُلُـــوبِ إِلَى الْإِلَـــهِ ضَرُورَةٌ يَـــا وَيْـــلَ قَلْـــبٍ بَـــاءَ بِالْـــحِرْمَانِ**

فإنَّ افتقار الخَلق إلى الله ضرورة كبرى، وحاجة عُظمى، لا يَسُدُّها إلا السير إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والاقتفاء لطريق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ومن لم يكن كذلك، فهو المَحروم حقا، والمُتوعَّدُ بالنار صدقا، ولهذا قال: (**يَا وَيْلَ قَلْبٍ بَاءَ بِالْـحِرْمَانِ**)، والويل: كلمة تهديد ووعيد. [21]

**وفي هذا فوائد:**

**أولها**: بيان حقيقة الفقر، **وهو لغة**: ضدُّ الغِنى، وليس المقصود به هنا قِلَّةَ المال وضعف ذات اليد، بل المقصود به هو الفقر لله جل وعلا، إخباتا وخُضوعا وخُشوعا ومَسكنة له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والفقر بمعنى قلة المال ليس ممدوحًا في ذاته، إنما يُمدحُ إذا رافقه صبر على تلك الحال، وإلا فقد تجد في سِلك الفقراء من ملأَ الكِبرُ قلبَه وغطَّى الجبروتُ فؤادَه، كما جاء في الحديث: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، وفيهم: «**وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» [22]، وقد يكون غنيا وهو من أطوَع الناس وأتقاهم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

---

21- انظر «تفسير الفاتحة وقصار السور» للناظم، فقد تكلم عن معاني كلمة «ويل» في «تفسير سورة الماعون».

22- رواه مسلم (106).

يقول شهاب الدين القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [23]: «ليس الزهدُ عَدمَ ذاتِ اليَد، بل عَدمُ احتِفال القلب بالدنيا وإن كانت في مِلكه، فقد يكون الزاهدُ من أغنى الناس وهو زاهدٌ، **وقد يكون الشديدُ الفَقر غيرَ زاهد بل في غاية الحِرص بحَسب ما اشتمل عليه قلبُه من الرغبة في الدنيا**». انتهى.

والمسكَنةُ لله مِن جِنس الفقر إليه، ولهذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [24]

أنـــا الفَقـــيرُ إلى رَبِّ البَرِيّـــــــــاتِ أنا المُسَيكينُ في مَجْمــوعِ حـــالاتِـــي

فالمسكينُ في الحقيقة من استكان قلبُه لربه، وخشَع من خَشيته ومحبته، ولا يكون المسكينُ ممدوحًا بدون هذه الصفة، **فإن من لم يخشَع قلبُه مع فَقره وحاجتِه فهو جَبَّار**... **فالمؤمنُ يَستكِين قلبُه لربه ويَخشَع له ويتواضع، ويُظهِر مَسكنتَه وفاقتَه إليه في الشدة والرخاء**، أما في حال الرضا فإظهارًا للشكر، وأما في حال الشدة فإظهارًا للذُّل والعُبودية والفاقَة والحاجة إلى كَشف الضُّر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، فذَمَّ من لا يَستكين لربه عند الشدة،

---

23- «الذخيرة» (13/ 245).

24- انظر «شذا العبير شرح قصيدة «أنا الفقير» لابن تيمية»، للمؤلف –عفا الله عنه–.

وهو منشور على هذا الرابط: https://bit.ly/3aqJmCM

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخرُج عند الاستسقاء متواضعًا متخشعًا مُتَمَسكِنًا[25]، وهذا حال الأنبياء عموما عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. [26]

قال شيخ الإسلام [27]: «**فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله**». انتهى.

**وثانيها**: أنَّ الفقر إلى الله ضرورة قلبية، وحقيقة إيمانية، لا بد لسالك الطريق منها، وما أحسن قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[28]: «**ومحبة الله سبحانه، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضا به وعنه: أصل الدين وأصل أعماله وإرادته**، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. فمعرفته أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم». انتهى

**ورابعها**: أنَّ الكلام هنا على الفقر الاختياري الذي يُمدحُ صاحبه، لا على الفقر الاضطراري الذي كتبه الله على جميع خلقه. وذلك أنَّ **الفقرَ نوعان** [29]:

---

25- رواه أحمد (2039)، وأصحاب السنن، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (1505).

26- انظر «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب» (1/ 135)، و«الذل والانكسار للعزيز الجبار» له أيضا ضمن «مجموع الرسائل» (1/ 275)، و«مشهد الذل والانكسار» من كتاب «مدارج السالكين» (1/ 318).

27- «الفتاوى» (18/ 326).

28- «إغاثة اللهفان» (2/ 195).

29- «طريق الهجرتين» (ص 12)، بتصرف.

- **كونيٌّ اضطراري، وهو فقر عام،** لا خروجَ لبَرّ ولا فاجِرٍ عنه، وهذا لا يقتضي مدحاً ولا ذماً ولا ثواباً ولا عقاباً، بل هو بمنزلة كَون المخلوق مخلوقاً ومصنوعا.
- **وشرعي اختياري، وهو فقر خاص،** ويحصُل نتيجةَ عِلمين شريفين:
  - **أَحدهما:** معرفة العبد بربه،
  - **والثاني:** معرفته بنفسه. فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أَنتجتا له فقراً هو عَينُ غِناه، وعنوان فلاحِه وهُداه، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين.

يقول ابن باديس[30]: «**فكن عبدا له في اختيارك واضطرارك وفي جميع أحوالك**».

**وقسَّمه بعض أهل العلم**[31] **بالنظر إلى حق الله وتوحيده إلى:**

- **فقر إلى ربوبية الله،** وهو فقر المخلوقات بأسرها،
- **وفقر إلى ألوهية الله،** وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده الصالحين، وهذا هو الفقر النافع.

وفي قصيدة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

| | |
|---|---|
| والـــفَقْرُ لي وَصْـــفُ ذاتٍ لازِمٌ أَبَـداً | كما الغِـــنى أبَـــداً وَصْـفٌ لَـــهُ ذاتِـــي |
| وهـــذِهِ الحَـــالُ حَـالُ الخَلْـقِ أجْمَعِهِـمْ | وكُـلُّـــهُمْ عِـــنْدَهُ عَـبْـــدٌ لَـــهُ آتِـــي |

---

30- «الآثار» (1/ 505).

31- «طريق الهجرتين» (ص 14)، بتصرف يسير.

**وخامسها**: أنَّ من لم يُحقق هذا الفقر والخشوع والمسكنة لله، فهو المحروم المعذب في الدنيا والآخرة، فَإن أنكدَ العَيشِ عَيشُ مَن قلبُه مُشَتَّتٌ، وهمُّه مُفَرَّق، فليس لقلبِه مُستقَرٌّ يستقِرُّ عنده، ولا حبيبٌ يأوي إليه ويسكُن إليه، كما أَفصَح القائلُ عن ذلك بقوله:

وَمَا ذاق طعم العَيش من لم يكن لهُ ... حبيبٌ إليه يَطمئن ويَسكنُ

فالعيش الطيِّبُ والحياةُ النافعة وقُرَّةُ العين في السُّكُون والطمأنينة إلى الحبيب الأول، ولو تنَقَّلَ القلبُ في المحبوبات كلِّها لم يَسكُن ولم يَطمئن إلى شيء منها، ولم تَقَر به عينُه حتى يطمئنَّ إلى إلهِه وربِّه ووَليِّه الذي ليس له من دونه وَليٌّ ولا شَفيع ولا غِنَى له عنه طَرفَةَ عين. [32]

32- «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه» (ص 29-30)، لابن القيم. وقد علَّق عليها شيخنا العصيمي.

## السعادة الحقيقية في تحقيق منازل العبودية

**ثم قال الناظم:**

إِنْ كَـــانَ جِسْـــمُكَ بِالْغِـــذَاءِ مُنَعَّـــمًا كَيْـــفَ السَّـــعَادَةُ دُونَـــهَا عِرْفَـــانِ
مَـــنْ كَـــانَ يَفْقِـــدُ رَبَّـــهُ فِي قَلْبِـــهِ أَنَّـــى يَـــذُوقُ حَـــلَاوَةَ الْإِيـــمَانِ
كُـــلُّ الْـــمَطَالِبِ قَـــدْ تُنَـــالُ بِـــدِرْهَمٍ إِلَّا الْـــمَصِيرُ لِـــمَنْزِلِ الْإِحْسَـــانِ
فَيَنَالُـــهُ مَـــنْ كَـــانَ يَمْـــلَأُ قَلْبَـــهُ حُـــبُّ الْإِلَـــهِ مُعَطِّـــرُ الْأَرْكَـــانِ

فبيَّن المصنف هنا أنَّ السعادة الحقيقية كامنة في معرفة الله وتحقيق العبودية له، وليست في المطعم والمشرب والملبس، وهذا قوله:

إِنْ كَـــانَ جِسْـــمُكَ بِالْغِـــذَاءِ مُنَعَّـــمًا كَيْـــفَ السَّـــعَادَةُ دُونَـــهَا عِرْفَـــانِ

أي: دون معرفةٍ قلبيَّة بالله، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه، فكأنه لم يعرف شيئا، **ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله، والشوق إليه، والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين**، بل إذا كان القلب خاليا عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذابا له ولا بد، فيصير معذبا بنفس ما كان منعما به.[33]

**فإنَّ مَن فقد الله، فماذا وجد؟ ومَن وجد الله، فماذا فقد؟** ولهذا قال:

مَـــنْ كَـــانَ يَفْقِـــدُ رَبَّـــهُ فِي قَلْبِـــهِ أَنَّـــى يَـــذُوقُ حَـــلَاوَةَ الْإِيـــمَانِ

---

33- «إغاثة اللهفان» (1/ 68).

فإنَّ من حُرِم لذَّةَ الإيمان وتذوُّقَ حلاوته في القلب، فإنَّه في عقاب وجحيم قبل دخول الجحيم، ولقد أحسن العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال[34]: «**وكفى بالغفلة عن الله عِقابا**». انتهى.

وذكر أهل العلم أنَّ من مقاصد «سورة التِّين» **ذِكرَ قيمة الانسان وشرَفِه بدِينه، وسُفُوله وهَوانه بتَخَلِّيه عنه**، لذا أقسَمَ بأماكن نُزولِ الوحي.[35]

وهذا فيه بيان أنَّ الإنسان لا قيمة له بلا دين، إذْ من أجله خُلِق، وعليه يُحاسب، وبه يتَفاضَلُ الـخَلق في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات: ١٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[36]: «**من كان الله كنزَه، فقد ظفَر بالغِنَى الأكبر**». انتهى.

سلامة دينك أهم من كل شيء تملكه، من مال، أو منصب، أو أهل، بل أهم من بقائك على قيد الحياة، ألا ترى قولَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ**».[37]

وقال بعضهم: «**لكل أحد في الله عوض من كل أحد، وليس لأحد من الله عوض بأحد**».[38]

---

34- «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (2/ 226).

35- «التفسير المختصر» (ص 597).

36- «الرسائل» (1/ 338).

37- رواه أحمد (22109)، والترمذي (3233)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (408). وشرح ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث في رسالة بعنوان: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى». انظر «رسائل ابن رجب» (4/ 3-90).

مِـــن كُــــلِّ شيءٍ إذا ضَــــيَّعْتَهُ عِـــوَضٌ ومَــــا مِــــن الله إنْ ضَــــيَّعْتَهُ عِــــوَضُ

وقال ابن القيم [39]: «**ما ضُرِبَ عَبدٌ بعقُوبة أعظَمَ مِن قَسوة القَلب**». انتهى.

**ولهذا قال الناظم بعدها:**

كُــلُّ الْـــمَطَالِبِ قَــدْ تُنَــالُ بِــدِرْهَمٍ إِلَّا الْــــمَصِيرُ لِــــمَنْزِلِ الْإِحْسَـــانِ

فَيَنَالُــــهُ مَــــنْ كَــــانَ يَمْــــلَأُ قَلْبَــــهُ حُـــــبُّ الْإِلَــــهِ مُعَطِّــــرُ الْأَرْكَـــانِ

## أعظم المطالب: الوصول لمنزلة الإحسان

**فإن الإحسان مقام شريف لا يُوَفَّقُ له إلا من آمن بالله وانقاد له محبة وتعظيما، ولا يُمكن إدراكه بجاه ولا مال**، ولهذا يقول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[الحاقة: ٢٨ - ٢٩]، أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنودُ الكثيرة، ولا العُدَدُ الخطيرة، ولا الجاهُ العريض، بل ذهب ذلك كلُّه أدراجَ الرياح، وفاتت بسببه المتاجِرُ والأرباح، وحضر بدَلَه الهُموم والغموم والأتراح. [40]

ومصداق هذا في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ٩٤].

---

=

38- «الآداب الشرعية» (2/ 178). وانظر كتاب «تسلية المؤمنين»، للمؤلف.

39- «الفوائد» (ص 97). ولابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة نافعة بعنوان: «ذم قسوة القلب».

40- «تفسير السعدي» (ص 883).

**وفي هذين البيتين فوائد:**

**منها:** أنَّ من أعظم المطالب في هذه الدنيا هو الوصول لمنزلة الإحسان، وحقيقتها كما فسره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»، وهذا أعلاها وهو مقام المشاهدة، «**فإن لم كن تراه، فهو يراك**»، وهذا أقل من الأول وهو مقام المراقبة أو مقام الإخلاص.

قال بعض السلف: «**من عمل على مشاهدة الله، فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه، فهو مخلص**».[41]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ[42]: «فإن من عَبَدَ الله كأنه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها». انتهى

**ومنها:** أنَّ جزاء الإحسان في الدنيا هو الحسنى في الآخرة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والذين أحسنوا هنا هم أهل الإحسان، فجعل الله جزاء الإحسان الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.[43]

---

41- انظر «رسائل ابن رجب» (3/ 331).

42- «الداء والدواء» (ص 174).

43- انظر «رسائل ابن رجب» (4/ 302).

قال ابن القيم[44]: «وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجه الأعلى سبحانه، **فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به**». انتهى

**ومنها**: أنَّ الدنيا لا تُغني عن أصحابها شيئا، وشواهد ذلك في كتاب الله كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الزمر: ٤٧ - ٤٨]، وجاء في آيات أخرى التصريح بأنه لا فِداءَ لهم البتة يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾[آل عمران: ٩١]، وقوله: وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد: ١٥]، وغير ذلك من الدلائل.[45]

## حلاوة الإيمان في القلب لا يعدِلها نعيم

**ومنها**: أنَّ للإيمان حلاوةً يجد المؤمن مذاقَها في القلب والجنان، لا تُدرَكُ بالحواس واللسان، فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم

---

44- «إغاثة اللهفان» (1/ 33).

45- انظر «أضواء البيان» (6/ 365).

من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة، كما أخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله: «**إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب**».

وقال آخر: «**إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربا بأنسه بالله وحبه له**».

وقال آخر: «**مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها**».

وقال آخر: «**لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف**».

ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى. [46]

**ومنها:** أنَّ محبةَ الله هي: «**تعلق القلب بالله جل وعلا**» [47]، وزاد شيخنا العصيمي على هذا التعريف، فقال: «**المحبة: تعلق القلب بالله، ودوام ملاحظة مرضاته**». [48]

**ومنها: أنَّ حُبَّ الله يُعَطِّرُ أركان المؤمن وجوارحه**، أي: أعضاءه التي أساسها القلب، ويملأ حياتَه فرَحا وسرورا وانشراحا، وفي الصحيح [49]: «**ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمَّدٍ رَسُولاً**».

---

46- «إغاثة اللهفان» (2/ 197)، بتصرف. وانظر «الداء والدواء» (ص 186)، ومواضع أخرى من كتبه.

47- هذا تعريف العلامة ابن سعدي في «شرحه على قصيدة السير إلى الله» (ص 16).

48- «شرح قصيدة السير إلى الله». وانظر «منزلة المحبة» في كتابي: «نصح المؤمنين وتبيان منازل السائرين: شرح قصيدة السير إلى الله والدار الآخرة». **وهو منشور على هذا الرابط:** https://bit.ly/3aBwA4B

49- مسلم (34).

وعن الحسن بن أبي جعفر، قال: سمعت عتبة الغلام يقول: «**من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أطاعه، ومن أطاع الله أكرمه، ومن أكرمه أسكنه في جواره، ومن أسكنه في جواره فطوباه، وطوباه، وطوباه**».[50]

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[51]: «**فإنَّ القلبَ إذا ذاق طَعم عبادة الله، والإخلاصَ له، لم يكن عنده شيءٌ قطُّ أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب**». انتهى.

50- رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (6/ 236).

51- «الفتاوى» (10/ 187).

## السير إلى الله يقوم على الرجاء والخوف

وبعد الإشارة إلى منزلة المحبة، تكلم الناظم هنا على منزلتين لازمتين لها، وهما: الرجاء والخوف، فقال:

وَرَجَـــاؤُهُ أَبَـــدًا مُؤَمَّـــلَ رَبِّـــهِ          وَمَخَافَـــةُ التَّعْظِـــيمِ لِلـــــدَّيَّانِ

أي: أن السائرَ إلى الله يرجو ربَّه في كل حين ما يؤمله من حسن جزائه وثوابه، كما يخاف بطشَ الديَّان وأليمَ عقابه. والديَّان هو الله لذي يدين الخلق أي: يُحاسبهم.

وقد أثنى الله تعالى في مواضع من كتابه على من جمع بين هاتين المنزلتين الشريفتين، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٣٥]، وقال جل ذكرُه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٩٨]، ومدح أنبياءه بأنهم: ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، ومدح بعض أوليائه بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزمر: ٩]، والآيات في الباب كثيرة، ولا تُحصى إلا بكُلفة.

**والخوف والرجاء متلازمان لا ينفك عنهما العبد**، فكل راج خائف من فوات ما يرجوه، كما أن كل خائف راج أمنه مما يخاف.[52]

---

52- «الروح» (ص 247).

**وفي هذا البيت فوائد:**

## حقيقة الرجاء

**منها:** أنَّ **الرجاء:** «**أمل العبد بربه في حصول المقصود مع بذل المجهود وحسن التوكل**»، هكذا عرَّفه شيخنا العصيمي.[53]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[54]: «**الرجاء: حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو: الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير**». انتهى.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فمن كان رجاؤه هاديًا له إلى الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح، **ومن كانت بطالته رجاءً، ورجاؤه بطالةً وتفريطًا، فهو المغرور**.[55]

## حقيقة الخوف من الله

**ومنها:** أنَّ **الخوف:** فرار القلب من الله جل وعلا ذُعرًا منه. هكذا يُعرفه شيخنا

---

53- «شرح قصيدة السير إلى الله» (ص 247).

54- «مدارج السالكين» (2/ 36). وانظر «الروح» (ص 246).

55- «الداء والدواء» (ص 86). وانظر تفصيل ما يتعلق بمنزلة الرجاء في كتاب «نصح المؤمنين»، للمؤلف.

العصيمي. قال الله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[الذاريات: ٥٠].

**قال العلامة ابن باديس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[56]: «كل ما يُصيبُ الإنسان من محِن الدنيا ومصائبها وأمراضها وخصوماتها ومن جميع بلائها، لا ينجيه من شيء منه إلا فراره إلى الله». انتهى.

وسمَّى اللهُ الرجوع إليه فرارًا، لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز.

فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه. [57]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[58]: «ومن تصوَّرَ هذا حقَّ تَصَوُّرِه فَهِمَ معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»[59]، وقوله: «**لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**»[60]، فإنه ليس في الوجود شيءٌ يُـفَـرُّ منه ويُستَعاذ منه ويُلْجَأ منه إلا وهو من الله خَلقا وإبداعًا.

فالفارُّ والمستعيذ فارٌّ مما أوجبه قَدرُ الله ومشيئتُه وخَلْقُه، إلى ما تقتضيه رحمتُه وبِرُّه ولُطْفُه وإحسانه، **ففي الحقيقة هو هارِبٌ من الله إليه، ومستعيذٌ بالله منه.**

---

56- «الآثار» (2/ 97).

57- «تتمة أضواء البيان»، للشيخ عطية سالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (9/ 180).

58- «الرسالة التبوكية» (ص 17-18).

59- رواه مسلم (486).

60- رواه البخاري (6311)، ومسلم (2710).

**وتصوُّر هذين الأمرين يُوجِب للعبد انقطاعَ عَلَقِ قَلبِه من غير الله بالكلِّية خوفا ورجاء ومحبة**». انتهى.

**وصفة الخوف من الله تعالى هي أجمع صفات الخير في الإنسان، لأنها صفة** للملائكة المقربين، كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل: ٥٠].[61]

**ومنها**: أنَّ الخوف الذي قصَده الناظم هو خوفُ العبادة الذي يسميه علماء التوحيد «خوف السر»، وهو الذي عبر عنه الناظم بقوله: (**ومَخَافَةُ التَّعْظِيم**).

وهو عبادة جليلة مَن صرفها لغير الله فقد أشرك شركا أكبر، كما هو معلوم في الكتب التي اعتنت بتوحيد العبادة.

ومنها: أنَّ **الرجاء مستلزم للخوف، وقد بوَّبَ البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق**، «**باب**: الرجاء مع الخوف».

**قال ابن أبي العزّ الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[62]: «فالرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنا، والخوف يستلزم الرجاء ولولا ذلك لكان قنوطا ويأسا». انتهى.

**قال بعض السَّلَف**: الرجَاءَ قائد والخوف سائق، والنفس بينهما، كالدابة الحَرون.

فمتى فتر قائدها وقصَّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بِهَا والحدو لها حتى يطيب

61- «تفسير ابن سعدي» (ص 958).

62- «شرح الطحاوية» (ص 237).

لها السير.[63]

**ومنها: أنَّ الخوف والرجاء لا يتمَّان إلا بمنزلة ثالثة وهي: منزلة الحب**، وعلى هذا **سار الناظم** -نفع الله به-، **وكذلك السعدي في «منظومته في السير إلى الله»، حيث قال:**

وَهُـــمُ الَّذِيـــنَ بَنَـوا مَنَـازِلَ سَـيْرِهِمْ بَـيْـــنَ الرَّجَـــا وَالخَـــوْفِ لِلدَّيَّـــانِ

وَهُـــمُ الَّـــذينَ مَـلا الإلَـهُ قُلُـوبَهُمْ بِـــوِدَادِهِ ومـحَبَّـــةِ الـرَّحمـــنِ

## السير إلى الله يقوم على المحبة والخوف والرجاء

ولكل منزلة من هذه المنازل حدٌّ لو جاوزه العبدُ لوقعَ فيما لا يرضاهُ الله تعالى. وإنما يصحُّ السيرُ إلى الله إذا وُجد قدرٌ من كل معنى من هذه المعاني الثلاثة.

**يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[64]: «**العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصول:** الخوف والرجاء والمحبة. **وكل منها فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب،** فلهذا كان السلف يذمون من تعبد الله بواحد منها وأهمل الآخرين، فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف، والإعراض عن المحبة والرجاء، وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء». انتهى.

---

63- «المحجة في سير الدُّلجة» ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب» (4/ 423).

64- «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» (1/ 161-162) ضمن «الرسائل». وانظر له أيضا «التخويف من النار» (ص 25، وما بعدها).

وخلاصة هذا كله في قول العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[65]: «**فالأمن من مكر الله خُسران، واليأس من رَوحه كُفران، والقُنوط من رحمة الله ضلال وطُغيان، وعبادة الله ﷻ بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان**». انتهى.

**ومنها: أنَّ أقوى هذه المنازل وأشرفَها منزلة المحبة**، وهي مقصودة تُراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة، وهي التي تُلقي العبد في السير إلى محبوبه، بخلاف الخوف والرجاء اللذين يُرادان لغيرهما، فإنَّ المقصود من الخوف الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، وهو زائل بزوال موجبه في الجنة، وكذلك الرجاء الذي يقود العبد في سيره إلى الله، فإنه زائلٌ إذا حصَّل المؤمنُ مطلوبه. [66]

---

65- «معارج القبول» (2/ 438).

66- انظر «مجموع الفتاوى» (1/ 95).

## الحياة حقيقةً في دين الله

**ثم قال الناظم:**

إِنَّ الْـــــحَيَاةَ حَقِيقَـــــةً فِي دِينِـــــهِ ... وَالْــمَوْتُ كُـلُّ الْـمَوْتِ فِي الْكُفْـرَانِ

طَاعَاتُـــــهُ سَــــبَبٌ يُمِـــــدُّ حَيَاتَنَـــا ... وَمَــوَاتُ قَلْــبِ الْعَبْـدِ فِي النُّكْــرَانِ

مَــنْ كَــانَ يَحْسَــبُ أُنْسَــهُ فِي مَالِـهِ ... وَيَظُـــنُّ أَنَّ الْفَــــوْزَ فِي الطُّغْيَـــانِ

قُطِــعَ اللَّئِـــيمُ عَــنِ الْإِلَــهِ وَحُبِّـهِ ... فَهَــوَى بِـــهِ سُــفْلًا إِلَى الْـخُسْــرَانِ

إنَّ الحياة في غير دين الله موت، وإن ترددت بها الأنفاس، وهي متاع زائل وإن اغتر بها جهال الناس.

إنما الحياة الحقيقية في دين الله تعالى وما جاءت به الرسل من العلم النافع والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾[الشورى: ٥٢]، وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٢٢]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[الأنفال: ٢٤].

قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[67]: «وليس قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ قيدا للأمر باستجابة، **ولكنه تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم**. واللام في لما يحييكم لام التعليل أي دعاكم لأجل ما هو سبب

67- «التحرير والتنوير» (9/ 312). وانظر «تفسير الطبري» (13/ 465).

حياتكم الروحية». انتهى.

**وقوله:**

طَاعَاتُـــهُ سَـــبَبٌ يُمِـــدُّ حَيَاتَنَــا وَمَـوَاتُ قَلْـبِ الْعَبْـدِ فِي النُّكْـرَانِ

أي: أنَّ الاستجابة لأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مما يُقوِّي حياةَ العبد ويُمِدُّه بكل خير، بخلاف التنكر والمحادة لأوامر الله تعالى فإنَّ فيها موتَ القلب، ويَعظُم هذا الموت بقدر ما فيه من المحادة والنكران لدين الله.

**والنكران هنا نوعان:**

**أولها:** نكران أكبر، وهو الكفر الصريح الأكبر، وبه يموت القلب موتا أكبر.

**والثاني:** ونكران دون ذلك، ينقص من الإيمان بقدره، ويستوجب صاحبُه من موت القلب بحسبه.

يقول العلامة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[68]: «**أعظمُ العذاب لأكمَل التكذيب وهو تكذيبُ الكفر**». انتهى.

مَـنْ كَـانَ يَحْسَـبُ أُنْسَـهُ فِي مَالِـهِ وَيَظُـنُّ أَنَّ الْفَـوْزَ فِي الطُّغْيَـانِ
قُطِـعَ اللَّئِـيمُ عَـنِ الْإِلَـهِ وَحُبِّـهِ فَهَـوَى بِـهِ سُـفْلًا إِلَى الْـخُسْـرَانِ

فإنَّ الأمر والنهي هُما الفَيصَلُ بين المؤمنين والكُفَّار، وبين المتقين والفُجَّار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[ص: ٢٧].

68- «الآثار» (1/ 504).

وحكمةُ الله تقتضي التفريق بين من وحَّدَ ربَّهُ وكبَّر، وبين من كَفَرَ وعاند وتَجَبَّر، ولهذا قال بعدها: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

**وعلى ضوء الأمر والنهي، انقَسَمَ الناسُ إلى شقيٍّ وسعيد، ومُقرَّبٍ وبعيد.**

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[الأعراف: ٢٩ – ٣٠]، وقال جلَّ في عُلاه: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وبيَّنَ الله الفرقَ بين منازل السُّعداء، ومنازِل الأشقياء، فقال: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠ك٥ –١٠٨].

**وعليه، فالسعادةُ مطلبُ الكُلّ، وطَردُ الهَمِّ غاية كلِّ من قال أو فعل**، ومن بدائع ابن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله[69]: «فطردُ الهمِّ مذهبٌ قد اتفقت الأمم كلُّها على ألَّا يعتمدوا بسعيهم شيئا سواه». انتهى.

---

69- «الأخلاق والسير» (ص 14).

وله أيضا[70]: «فاعلم أنه مطلوب واحد، وهو طردُ الهمِّ، **وليسَ إليه إلا طريق واحدٌ، وهو العملُ لله تعالى، فما عدا هذا فضَلالٌ وسُخْفٌ**». انتهى.

فمن كان يظن من الخلق أن (**الْفَوْزَ فِي الطُّغْيَانِ**)، بمجاوزة الحد، والتكبر على أوامر الله، والمحادة لهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو (**اللَّئِيمُ**)، وسيهوي به هذا الطغيان (**سُفْلًا إِلَى الْـخُسْـرَانِ**).

واللَّئيم من اللُّؤْمُ، بالضم، وهو ضِدُّ الكَرَم.[71]

**ووصفه الناظم –وفقه الله تعالى– باللؤم أي: بالبُخل والحِرص، لأنه آثر الفاني على الباقي، وعظم الصلة بالدنيا على وجه قَطَعه عن الله وحُبه والأنس به.**[72]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المؤمِنُ غِرٌّ كريم، والفاجرُ خَبٌّ لئيم**».[73]

---

70- نفس المصدر (ص 16).

71- «القاموس» (1156).

72- وأوصي القارئ أن يطالع رسالة الحافظ ابن رجب «شرح حديث ما ذئبان جائعان»، فهي نافعة جدا.

73- رواه البخاري في «الأدب المفرد» (418)، وأبو داود (4790)، والترمذي (1964)، وحسنه الألباني في «السلسلة» (935). انظر «فيض القدير» (6/ 254) للمناوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال العلامة محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ في «رسائل الإصلاح» (ضمن «موسوعة الأعمال الكاملة» 8/ 170): «قد وقع لفظ الغِر فيه مقابلاً للفظ الخب الذي هو الجُرْبُز؛ أي: الخدّاع، فيكون المراد من الغرارة: غفلته عن الشر؛ **فإن كريم الأخلاق طيّب السريرة، لا يبحث عن الشر بحثَ من يريد التوغل في طرقه**، والخوض في غماره، وهو مع كونه لا يبحث عن هذه الطرق بحثَ المولع بها، يأخذ بسنّة الاحتراس، **فلا ينخدع لخب يزخرف له القول مداهنة**، أو ينصب في طريقة حباله، فغفلة الرجل عن وسائل الشر لانصرافه
=

وقد نقل شيخ الإسلام عن الإمام الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَه: «**الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم**»، ثم قال -أي ابن تيمية-: «والقرآن قد دل على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾[الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾[الحج: ١٨]». انتهى المقصود من كلامه.[74]

قال بعض السلف: «**من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال وآنسه بلا مؤنس، وأعزه بلا عشيرة**».[75]

ويقول ابن تيمية[76]: «فمن أراد السعادة الأبدية، فليلزم عَتَبَةَ العُبوديَّة». انتهى

وصدق الحُطَيْئة في قوله:

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ ... وَلَكِنَّ التَقِيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً ... وَعِندَ اللهِ لِلأَتقى مَزيدُ

---

=

إلى الخير بشراشر [أي: بنفس] لا تنقص من كياسته في تدبير وسائل الخير، أو الاحتراز عما يهيأ له أو لقومه من الشر، **فلا يصح أن يكون الإيمان - الذي هو أساس استنارة الفكر - سببَ الانخداع لتمويه مبطل، أو مخاتلة ذي مأرب**». انتهى.

74- انظر «الفتاوى» (16/ 294-295).

75- انظر «الآداب الشرعية» (3/ 310).

76- كما نقل ذلك عنه ابن القيم في «المدارج» (1/ 429).

## حقيقة السـير إلى الله

ثم قال الناظم:

سَـــيْرُ الْقُلُــوبِ إِلَى الْإِلَــهِ يَدُلُّــهَا ... لِلْفَــوْزِ فِي الــدَّارَيْنِ يَـــا إِخْــوَانِي

قَلْــبُ الْــمُوَحِّدِ لَا يَطُــوفُ بِكَعْبَــةٍ ... قَــدْ دُنِّسَــتْ بِمَطَالِــبِ الْإِنْسَــانِ

فَطَوَافُــهُ شَــوْقًا بِحَضْــرَةِ قُدْسِــهِ ... وَمَنَــازِلٍ تُفْضِــي إِلَى الْإِيقَــانِ

اللهُ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ عِبَـــــــــادَةً ... خَابَ الْـمُشَرِّكُ وَالْـجَحُودُ الْـوَانِي[77]

إنَّ (سَير الْقُلُوبِ إلى) الله تعالى خيرُ قائدٍ إلى الفلاح في (الدَّارَيْنِ) أي: الدنيا والآخرة.

**والسير إلى الله**: هو قطع الطريق إليه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقول الناظم: (سَير الْقُلُوبِ) إشارة إلى أنَّ **هذا السير إنما يكون بالقلب، لا بالبدن.**

**قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُٱللَّهُ[78]: «سفر الآخرة يُقطع بسير القلوب، لا بسير الأبدان». **وقال يحيى بن معاذ** رَحِمَهُٱللَّهُ[79]: «**مَفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومَفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب**».

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُٱللَّهُ[80]: «فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه

---

77- الضَّعيف الفاتر.

78- «المحجة في سير الدُّلجة» ضمن «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب» (4/ 415).

79- رواه أبو نعيم في «الحلية» (10/ 52).

80- «الفوائد» (ص 141).

وهمته، لا ببدنه». انتهى.

**فالسير إلى الله هو سير القلوب بالعقائد الصحيحة النافعة** التي تملأ القلب معرفةً ويقينًا وإيمانًا وإخلاصًا وقوةً وطيبًا وسرورًا. [81]

**وإذا سار القلب إلى الله انقادت له الجوارح**، وفي الصحيحين[82]، قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ[83]: «**فالقلب الصالح هو القلب السليم** الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره، **وهو أن يكون سليما عن جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه.**

**والقلب الفاسد: هو القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلة والشهوات المحرمة،** وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن اتباع هوى النفس؛ **فالقلب ملك الجوارح وسلطانها، والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة لأمره،** فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المنقادة لأوامره، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له المنقادة لأوامره ونواهيه». انتهى.

---

81- «توضيح الكافية الشافية» ضمن «مجموع مؤلفات السعدي» (8/ 404).

82- البخاري (52)، ومسلم (1599).

83- «فتح الباري» (1/ 229). وقد تكلمت على حقيقة القلب السليم في كتابي: «تسلية المؤمنين».

## ثمار الإيمان طيبة في الدنيا والآخرة

وقد بيَّن –حفظه الله– أنَّ سيرَ القلوب إلى الله، والفقرَ والاستكانةَ والخضوعَ إليه يقود العبد (لِلْفَوْزِ فِي الدَّارَيْنِ)، أي: في الدنيا والآخرة، وفي هذا تنبيه على أمر مهم، وهو أنَّ ثواب الإيمان حاصل في الدنيا قبل الآخرة، ومن أعظم ذلك ما يُثمره في القلب من راحة وطمأنينة وأنس بالله، كما سبق بيانه.

**وجنَّةُ الآخرة نتيجةٌ لجنَّة الدنيا،** وقد نبه على هذا المعنى العلامة ابن القيم في مَعرض كلامه على فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[84]: «وكما أنَّ من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلَّب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها **فروحُه تتقلَّب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش،** قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠ – ٤١].

فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنةُ المعرفة والمحبة والإنسِ بالله، والشوقِ إلى لقائه والفرح والرضى به وعنه مأوى روحه في هذه الدار.

**فمن كانت هذه الجنة مأَواه ها هنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد.**

**ومن حُرِم هذه الجنة، فهو لتلك أشدُّ حرمانًا.**

**والأبرار في النعيم، وإن اشتدَّ بهم العيش، وضاقت عليهم الدنيا، والفجار في جحيم، وإن اتسعت عليهم الدنيا.**

84- «الداء والدواء» (ص 458–459).

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[النحل: ٩٧]، وطيب الحياة جنة الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[الأنعام: ١٢٥]، **فأيُّ نعيمٍ أطيبُ من شرح الصدر؟ وأيُّ عذابٍ أمرُّ من ضيق الصدر؟**

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[يونس: ٦٣ - ٦٤].

**فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم بالًا، وأشرحهم صدرًا، وأسرّهم قلبًا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة**». انتهى.

## الكفار في جحيم قبل دخول الجحيم

**وأما الكفار والفجار**، فحالهم كما قال الشاعر[85]:

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلهِ ... وأجسامُهم قبلَ القبورِ قبورُ
وإن امرأً لم يَحيَ بالعلم مَيِّتٌ ... وليس له حتى النُّشورِ نُشورُ

فقلوب هؤلاء وأجسامهم معذبة في جحيم قبل دخول الجحيم، وهكذا حالهم في البرزخ، فإنَّ ضِيقَ القَبرِ واتِّساعَه بعد الموت، تابعٌ لانشراحِ القلب بطاعة الله قبل الموت، ولمَّا عَرَض الإمام ابن القيم إلى أسباب انشراح الصَّدر في الدنيا، وما يَحصُل

85- انظر «أدب الدنيا والدين» (ص 37).

لأولياء الله من الفرحة والسرور، قال[86] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وإنَّ هذا النعيمَ والسُّرورَ يَصيرُ في القبر رِياضًا وجَنةً، وذلك الضيقُ والحَصْرُ يَنقلِب في القبر عذابا وسِجنا.**

**فحالُ العبد في القبر كحال القلب في ا لصدر** نعيما وعذابا، وسجنا وانطلاقا، ولا عِبرة بانشراحِ صدرِ هذا لعارِض، ولا بضيق صدرِ هذا لعارِض، فإن العَوارِضَ تَزول بزَوال أسبابها، وإنما المُعَوَّلُ على الصِّفَة التي قامت بالقلب توجِبُ انشراحَه وحَبسَه، فهي الميزان، والله المستعان». انتهى.

وما أحسنَ قولَ العلامةِ المعلميِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[87]: «**فمن أحبَّ أن ينظر حالتَه بعدَ الموتِ في القبر والبرزخ والمحشر، فلينظر إلى عمله: أقبَلَ أو أدبَر.**

فإن حسُنَ عملُه فهو إلى الخير والسعادة، والحسنى وزيادة، وإنْ ساءَ فهو إلى الشقاء والهوان، والويل والخسران». انتهى.

---

86- «زاد المعاد» (2/ 25).

87- «الآثار» (22/ 111).

## قلب الموحِّد معلَّق بالله

**ثم قال الناظم:**

**قَلْبُ الْـمُوَحِّدِ لَا يَطُوفُ بِكَعْبَةٍ      قَدْ دُنِّسَتْ بِمَطَالِبِ الْإِنْسَانِ**

**فَطَوَافُهُ شَوْقًا بِحَضْرَةِ قُدْسِهِ      وَمَنَازِلٍ تُفْضِي إِلَى الْإِيقَانِ**

إنَّ أشرفَ ما في العبد قلبُه، وإنَّ أشرفَ قلوب العباد قلبُ المؤمن الموحِّد، وبُرهانه أنه لا يُعظم إلا الله، ولا يخضع إلا لمولاه، قد سَمَت نفسُه نحو أعالي الأمور، وترفَّعت عن كل باطل وزور، فطافت بجلال الكريم المنان، وبلغت منازل اليقين، وترَقَّت في دَرَج الجِنان.

**قال بعض السلف: «إن هذه القلوب جوالة، فمنها ما يجول حول العرش، ومنها ما يجول حول الحُشِّ»**[88]. والحُشُّ: المرحاضُ، والكنيف، وبيت الخلاء. [89]

فبؤسا وتعسا للنفوس الوضيعة الدنيئة التي لا يهزها الشوق إلى ما أعد الله لأوليائه طربا، ولا تتقد نارُ إرادتها لذلك رغَبا، ولا تبعُد عما يصُد عن ذلك رهَبا، فبصائرُها، كما قيل:

خفافيشُ أعشاها النهارُ بضوئهِ      ولاءَمها قِطَعٌ مِن الليلِ مظلِمُ

تجول حول الحُشِّ، إذا جالت النفوس العُلوية حول العرش، وتندس في

88- انظر «شرح حديث النزول» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص 149).

89- انظر «المصباح المنير» للفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص 78).

الأحجار إذا طارت النفوس الزكية إلى أعلى الأوكار. [90]

## ضابط اللَّذة النافعة واللَّذة الضارة

**وكل لذة أعقبت ألما أو منعت لذة أكمل منها فليست بلذة في الحقيقة وإن غالطت النفس في الالتذاذ.** [91]

فكل لذة أعانت على لذات الدار الآخرة فهي محبوبة مرضية للرب تعالى، وصاحبها يلتذ بها من وجهين:

من جهة تنعمه وقرة عينه بها،

ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه وإفضائها إلى لذة أكمل منها.

فهذه هي اللذة التي ينبغي للعاقل أن يسعى في تحصيلها لا اللذة التي تعقبه غاية الألم وتفوت عليه أعظم اللذات. [92]

وقلْب المؤمن لا ينجَرُّ وراء حُطام الدنيا، وإن انجرت يده في طلبها، فإن قلبه معلَّق بالله، وإلا فالدنيا لابد منها لصلاح الآخرة[93]، غير أنَّ محلَّها اليد وليس القلب.

ومن محاسن قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «الوصية الصغرى»[94] وهو ينصح أبا

---

90- انظر «روضة المحبين» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص 160).

91- «روضة المحبين» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص 160).

92- «روضة المحبين» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص 158).

93- وقد تكلمت عن القدر المذموم من الدنيا في كتابي «تسلية المؤمنين».

**وهو منشور على هذا الرابط:** https://bit.ly/2UJ2h4V

94- «الفتاوى» (10/ 663).

القاسم المغربي: «ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإشراف وهلع، **بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة**، والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء». انتهى.

فهذه الدنيا دار ممر، لا دار مقر، خلقها الله لتُعبر، لا لتُعَظَّم وتُعمر، وصدق أبو إسحاق الألبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال:

| | |
|---|---|
| ولم تُخلـــق لتعمُرهـــا ولكـــن | لتعبُرهـــا فجِـــدَّ لمـــا خُلِقتـــا |
| وَإِن هُـــدِمَت فزِدهـــا أنـــت هَـــدْمًا | وحَصِّـــنْ أمـــرَ دينِـــك مـــا اســـتَطعتا |
| ولا تحـــزن عـــلى مـــا فـــاتَ منهـــا | إذا مـــا أنـــت في أُخْـــراكَ فُزْتـــا |
| فلـــيس بنـــافِعٍ مـــا نِلْـــتَ فيهـــا | مِـــن الفـــاني إذا البـــاقي حُرِمتـــا |

والله جَلَّجَلَالُهُ يقول: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٣٥]، وفي الحديث قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ**»[95]، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ**»[96]، وفي رواية البخاري: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَل مِنْهُ**».

95- رواه البخاري (6413)، ومسلم (1805).

96- رواه البخاري (6490)، ومسلم (2963).

قلت: وهذا الكلام خاص بالدنيا الدنيَّة، **وأما الآخرة الغالية، فإنه لا يصلحُ لها إلا أصحاب الهِمم العالية.** [97]

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[98]: «انظر في المال والحال والصحة إلى من دونك، وانظر في الدين والعلم والفضائل إلى من فوقك». انتهى.

وهذا بخلاف الأحمق الذي إن كان فوقَك حقرَك، وإن كان دونَك غَمَرك. [99]

وكأنَّ الناظم -والله أعلم- قد حاكى بيتَ ابنِ سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لـمَّـا قال واصِفًا عِبادَ الله جلَّ وعلا السَّائرينَ إليه:

صَــحِبُـــوا الخَلائِــقَ بِالجُسُــومِ وإِنَّــمَا ... أَرْوَاحُــــهُمْ فِي مَنْــزِلٍ فَوْقَـــانـــــي

**فالأرواح معلَّقة دائما بالله، وإن كانت الأجسام في الظاهر بين عباد الله.**

جِســمِي مَعِــي غَــيرَ أَنَّ الــرُّوحَ عِنــدَكُمُ ... فَالجِســمُ في غُربــةٍ والــرُّوحُ في وَطَــنِ

97- تكلمت على الهمَّة العالية ونماذجَ صالحة منها في كتابي: «سبيل النجاة في فضائل العلم والعمل».

98- «رسائل ابن حزم» (1/ 344).

99- انظر: «روضة العقلاء» (ص 123)، لابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**ثم قال الناظم** -بارك الله في علمه-:

**اللهُ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ عِبَـــادَةً خَـابَ الْـمُشَرِّكُ وَالْـجَحُودُ الـوَانِي**

أي: خاب المشرِك وخسِر، وهَلَك الجَحودُ المتكاسِلُ الأشِر.

**خاب**: خسر وهلك.

**والمُشَرِّك**: هكذا للضرورة الشعرية، والمقصود به المشرك، وهو من اتخذ مع الله نِدًّا.

**والواني**: هو الضَّعيف الفاتر.

وليست أفعل التَّفضيل في قوله: (**اللهُ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ عِبَادَةً**)، بل هي لإرادة استحقاق الله وحده للعبادة.

وهذا الأسلوب الذي ذكره الشيخ هنا معلوم في لغة العرب، ومن ذلك ما جاء في الحديث القدسي: «**أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**».[100]

علَّق على هذا الحديث العلامة سليمان بن عبد الله[101] بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يلزم من اسم التفضيل إثبات غنى للشركاء، فقد تقع المفاضلة بين الشيئين وإن كان أحدهما لا فضل فيه كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[النمل: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلًا﴾[الفرقان: ٢٤]». انتهى.

فلا يعني هذا أنَّ للكفار في النار نوعَ مَقيل، ولكنَّ المقصودَ أنَّ أصحاب الجنة هم أهل المقيل الحسن، ولا يَشرَكُهم أهل النار في شيء من ذلك.

---

100- رواه مسلم (2985).

101- «تيسير العزيز الحميد» (ص 454).

**وفي هذا البيت حَكَم الناظم بالخُسران على طائفتين من الخَلق، وهما:**

المشرك بالله،

والجَحود الضعيف المتكاسل عن طاعة الله.

أو أنه جعل هذه الأوصاف كلَّها للصنف الأول وهم المُشركون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس: ١٠٦]، **فسمى المُشرك ظالمًا**، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[الزمر: ٦٤]، **فسمى المُشرك جاهِلًا**، وبيَّنَ عاقِبَتَه في الدنيا بإحباط ما له من الحسنات، فقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر: ٦٥]، وبيَّن منزلته يوم القيامة في أَخَسِّ الدركات، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]... والقرآن كله في تقرير هذا الأصل المتين، والتدليل عليه بصُنوف من الآيات والبراهين، ولكن اللهَ يطبعُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

## أهمية تطهير الباطن

**ثم قال الناظم:**

فَارْبَأْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَكُونَ مُدَنَّسًا بِنَجَاسَةِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّيْطَانِ

أي: ارفع وترفَّع بقلبك أن توقِعه في نجاسات الأهواء، وأن تقع أسيرا في ظُلمات الإغواء، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦].

طُهْرُ الْقُلُوبِ - وُقِيتَ مِنْ أَدْرَانِهَا - أَوْلَى مِنَ الْأَثْوَابِ وَالْأَرْدَانِ

أي أن طهارة الباطن أولى من طهارة الظاهر، وإن كان المؤمن مطالَبا بهما، **لأنَّ طهارةَ القلوب هي أعظمُ غاية وأجَلُّ مطلوب.**

**والأردانُ**: مفردُها الرُّدْنُ، بالضم، وهو: أصْلُ الكُمِّ من القميص. [102]

ومصداق هذا في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدّثر: ٤]، أي: طهر عملك من الذنوب، وأعظم ذلك تطهيرها من أعظم ذنب وهو الشرك. [103]

ومن عبارات شيخِنا المُستملحة قوله في مواضع من شروحه: «**وحَمل آية «المدثر» على تطهر الأعمال المُلابَسات، أولى من حملها على تطهير الثياب المَلْبوسات**».

وقال في كتابه الماتع «**خلاصة تعظيم العلم**»: «فَمَنْ أَرَادَ حِيَازَةَ العِلْمِ فَلْيُزَيِّنْ بَاطِنَهُ وَيُطَهِّرْ قَلْبَهُ مِنْ نَجَاسَتِهِ؛ **فَالعِلْمُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْقَلْبِ النَّظِيفِ.**

**وَطَهَارَةُ القَلْبِ تَرْجِعُ إِلَى أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ:**

---

102- انظر: «القاموس المحيط» (ص 1200).

103- انظر: «تفسير الطبري» (23/ 12)، ففيه أن هذا هو قول أكثر السلف.

**أَحَدُهُمَا**: طَهَارَتُهُ مِنْ نَجَاسَةِ الشُّبُهَاتِ.

**وَالآخَرُ**: طَهَارَتُهُ مِنْ نَجَاسَةِ الشَّهَوَاتِ». انتهى.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومة «منهج الحق»:

وَقَلْــبَكَ طَــهِّرْهُ وَمِــنْ كُــلِّ آفَــةٍ وكُــنْ أَبَــدًا عَــنْ عَـيْبِــهِ تَتَـفَقَّــدُ

وجَمِّــلْ بِنُــصْحِ الخَلْــقِ قَلــبَكَ إِنَّــهُ لَأَعْــلَى جَــمَالٍ لِلْـقُــلُوبِ وَأَجْــوَدُ

## الله ينظر إلى قلوب العباد وأعمالهم

**ثم قال الناظم:**

**نَظَـــرُ الْإِلَـــهِ إِلَى الْقُلُـــوبِ مَحِلُّـــهُ لَا صُـــــورَةٍ كَـــــلَّا وَلَا لِلْفَـــــانِي**

فإن الله ينظر إلى الأعمال، لا ينظر إلى كثرة المال، ولا إلى كثرة الجاه، ولا إلى النسب، ولا إلى الحسب، فإنَّ هذا كلَّه من الفاني، أي: أعراض الدُّنيا الزَّائلة.

**والفاني ليس محِلاًّ لنظر الباقي** سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

فعنأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُـوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، ولكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».[104]

قال شيخنا في «شرح خلاصة تعظيم العلم»[105] معلقا على هذا الحديث: «وفيه **أنَّ نَظَرَ الله من العبد له موقعان:**

**أحدهما:** نظرُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إلى قلبه.

**والآخر:** نظر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إلى عمله.

فالمنظور إليه من أحدنا من الله: يرجع إلى قلبه وعمله؛ فيحتاج العبد إلى قلبٍ نقـيٍّ طاهرٍ، وإلى عملٍ صالحٍ ظاهرٍ، فبحسب ما يكون للعبد من كـمال هـذَين الأمـرين - طهارة القلب، وصلاح العمل - تكون عناية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى به، فإنَّ كفايةَ الله للعبد على قدر إيمانه.

---

104- رواه مسلم (2564).

105- باختصار.

فإذا كان إيمان العبد كبيرًا كانت كفاية الله كبيرةً، وإذا كان إيمانـه دون ذَلِـكَ كانـت كفاية الله كذَلِكَ.

**وهذه الأمراضُ النَّفسيَّـة الَّتي خيَّمت بظُلمتها على قلوب الخَلْق؛ عامَّتُها ترجع إلى هذه القاعدة في تهذيب النَّفس وإصلاح القلب**، وهي فُقدان صلاح الأعمال، فلمَّا فُقِد صلاح الأعمال؛ فُقِد صفاء الأحوال، ويقع للعبد تخليطٌ في أحواله على قدر تخليطه في أعماله». انتهى المقصود منه.

## العمل الصالح زينة المؤمن في الدنيا والآخرة

وإذا وُضع العبدُ في قبره، تولَّى عنه الناس، ولم يبقَ معه إلا عمله الصالح، وفي الصحيحين[106] عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ**».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في جزء له في شرح هذا الحديث[107]: «**وتفسير هذا:** أن ابن آدم في الدنيا لا بُدَّ له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما.

**فالسعيدُ من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفعه في الآخرة.**

فيأخذ من المال ما يبلغ به إِلَى الآخرة، ويتخذ زوجة صالحة تعينه عَلَى إيمانه.

106- البخاري (6514)، واللفظ له، ومسلم (2960).

107- مطبوع مُفردا وفي «مجموع رسائله» (2/ 419-434).

فأمَّا من اتخذ أهلاً ومالاً يشغله عن الله تعالى، فهو خاسرٌ، كما قالت الأعراب: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[الفتح: ١١]». انتهى

وعن سويد بن غفلة قال: «**إن الملائكة تمشي أمام الجنازة وتقول: ما قدَّم؟ ويقول الناس: ما ترك؟**»[108].

والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾[الأنعام: ٩٤].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[109]: «خلَّفتم أيها القومُ ما مكَّناكم في الدنيا مما كنتم تتباهَوْن به فيها، خلْفكم في الدنيا، فلم تحمِلوه معكم». انتهى.

**وأحسن الشاعر في قوله**[110]:

تَزَوَّدْ قَرِينًا مِن فِعالِك إنما ... قَرِينُ الفَتى في القبر ما كان يَفعلُ

وإن كنتَ مشغولاً بشيءٍ فلا تكنْ ... بِغَير الذي يَرضَى به اللهُ تُشغَلُ

فلَن يَصحَبَ الإنسانَ مِن بَعد موتهِ ... إلى قبره إلَّا الذي كان يَعملُ

ألا إنما الإنسانُ ضَيفٌ لأهلِهِ ... يُقِيمُ قليلاً عندهمْ ثم يَرحلُ

---

108- «صفة الصفوة» (2/ 13).

109- «جامع البيان» (11/ 545).

110- «مجموع رسائل ابن رجب» (2/ 434)، وبعضه في «صفة الصفوة» (2/ 401).

## ضرورة التنزُّه عما يُدنِّس القلب

**ثم قال:**

**فَـــإِذَا أَرَدْتَ سَـــلَامَةً مِـــنْ لَوْمَـــةٍ فِي لِبْسَـــــةٍ أَوْ شَـــــمَّةِ الْأَنْتَـــــانِ**
**فَـاخْشَ الْإِلَـهَ بِـأَنْ يَـرَاكَ مُوَسَّـخًا فِي لُـــجَّةٍ تَغْـــلِي مِـــنَ الْعِصْـــيَانِ**

فإذا أردت أن يَسلَم لك دينُك وعِرضُك، وألاَّ تلام، وألا تقع في موقع يسألُك اللهُ عنه يوم القيامة، (**فَاخْشَ الْإِلَهَ بِأَنْ يَرَاكَ مُوَسَّخًا**)، أي: مُلَطَّخًا (**فِي لُـجَّةٍ**)، وهي المُستعظَم من الماء، (**تَغْلِي مِنَ الْعِصْيَانِ**)، فعبَّر بالغَليان إشارَةً إلى ما تَعقُبُه المعاصي من غضب الرحمان، ودخول النيران.

وفي الحديث قولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ**».[111]

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أيضا: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُق، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».[112]

فإذا أردت ألاَّ تُعَرِّضَ نفسَك لغضب الله، فطهِّر قلبَك، واخش ربَّك، أي: خَفْ منه مخافةَ مَن يَعلَم عظمَته، ويخاف جبروتَه.

قال الشيخ العصيمي -نفع الله به- في «تعظيم العلم»: «وإِذَا كُنْتَ تَسْتَحِي مِنْ نَظَرِ **مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ إِلَى وَسَخِ ثَوْبِكَ، فَاسْتَحِ مِنْ نَظَرِ اللهِ إِلَى قَلْبِكَ، وَفِيهِ إِحَنٌ وَبَلَايَا، وَذُنُوبٌ وَخَطَايَا**». انتهى.

---

111- انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (1914).

112- رواه مسلم (2553).

## الهمم العالية في طلب الجنة الغالية

**ثم قال الناظم:**

| | |
|---|---|
| وَاطْلُبْ هُدِيتَ مَنَازِلًا تَعْلُو بِهَا | فَوْقَ الْعِبَادِ بِجَنَّةِ الرَّحْمَنِ |
| إِنْ فَاتَ زَوْجٌ أَوْ تَلَقُّفُ لُقْمَةٍ | مَا فَاتَ إِلَّا مُنْعِمُ الْحَيَوَانِ |
| خُسْرُ الْخَلِيقَةِ أَنْ تَكُونَ بِمَعْزِلٍ | عَنْ مِلَّةِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ |

فإذا أردت النجاة والفوز، فاطلب –هداك الله للخير– (**مَنَازِلًا تَعْلُو بِهَا فَوْقَ الْعِبَادِ بِجَنَّةِ الرَّحْمَنِ**) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا لا يكون إلا بإيمان صادق يرفعك في الدنيا بين الخلق، ويرفعك يوم القيامة عند الخالق سبحانه وتعالى.

وهذا فيه إشارة إلى أن من أراد أن يطلب الجنة، فليطلب أعلاها وأشرفها وأوسطها وهو الفردوس الأعلى كما صح في ذلك الخبر عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ**».[113]

وبعض الناس ضعيف الهمة، سيء الظن بالله، قليل العلم به، يقول: (أنا راضٍ بأقل درجة في الجنة)؟!! وهذا من جهل العباد بالله، فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ –وهو أشفق الناس بنا– أرشدنا إلى طلَب الأعلى، والجِدِّ في طريق الأسمى.

وإلى هذا أشار أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله [114]: «**مَن أعملَ فكرَه الصافي**

---

113– رواه البخاري (2790). وانظر كتابي «التحفة التونسية».

114– «صيد الخاطر» (ص 173).

**دَلَّه على طَلَب أشرَف المقامات، ونهاه عن الرِّضى بالنَّقص في كل حال**».

وقال أيضا [115]: «والإنسان يُحشر ومعه تلك الهِمة، فيُعطى على مِقدار ما حصَّلَت في الدنيا، **فكما لم تتُق إلى الكمال، وقَنعَت بالدُّون، قنَعت في الآخرة بمثل ذلك**». انتهى.

فقد تقصُر أعمال العبد عن بلوغ أعالي الدرجات، ولكنَّ حُسنَ ظَنِّ العامِل بربه وحبَّه للصالحين يرفعه إلى فَراديس الجنات، فإنَّ المرءَ مع من أحب، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يونس: ٢٥].

قال ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[116]: «**طلبُ الكمال كمال، ومن كانت غايته الرتب العليا إنْ لَم يصل إلى أعلاها لم ينحط عن أدناها، وإنْ لم يساو أهلَها لم يبعد عنهم.**

ومن لم يطلُب الكمال بقي في النَّقص، ومن لم تكن له غايةٌ سامِية قَصَّر في السعي وتوانَى في العمل، فالمؤمنُ يطلُب أسمى الغايات، حتى إذا لم يصل لم يبعُد، وحتى يكونَ في مظِنَّةِ[117] الوصول بصِحَّة القَصد وصِدق النيَّة». انتهى.

115- نفس المصدر (ص 321).

116- «الآثار» (1/ 495)، بتصرف يسير.

117- في المطبوع: «مظنه».

## الربح الحقيقي في الدين وإن فات بعض الدنيا

**ثم قال الناظم:**

**إِنْ فَاتَ زَوْجٌ أَوْ تَلَقُّفُ لُقْمَةٍ ... مَا فَاتَ إِلَّا مُنْعِمُ الْحَيَوَانِ**

من فاتته الدنيا وحصَّل الدين فهو الرابح، ومن فاتَه الدين وحصَّل الدنيا فهو الخاسر، **فإنَّ قطرةً مِن عذاب النار تُغرِقُ بِحارًا من نعيم الدنيا، وقطرة مِن نعيم الجنة تُغرِقُ بِحارًا مِن بُؤس الدنيا**، وتأمل هذا الحديث العظيم الذي رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أنه قال: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ**[118] **فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**».[119]

**وفي هذا الحديث فوائدُ:**

**منها**: أنَّ الدنيا يتنعَّم فيها الكافر والمؤمن، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وليس من حُرِمها قد هان على الله، ولا مَن أُعطيَها كريم عنده، بل يُعطيها أعداءَه، ويحفظ اللهُ منها أولياءَه.

**ومنها**: أنَّ نعيم الدنيا -مهما عَظُم- لا يُساوي شيئا إذا لم تَصحبهُ تقوى الله.

---

118- أي: فيُغمَسُ.

119- رواه مسلم (2807).

**ومنها:** أنَّ غَمسَةً واحدةً في النار تُنسي كل نعيم في الدنيا.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[120]: «هذا وهو شيء يسير، **فكيف بمن يكون مخلداً فيها والعياذ بالله أبد الآبدين؟!**». انتهى.

**ومنها:** أنَّ غَمسَةً واحدةً في الجنَّة تُنسي كل بؤسٍ في الدنيا.

فمـــا هـــي إلا ســـاعةٌ ثـــم تَنْقَضـــي ويـــــذهَبُ هـــــذا كُلُّـــــه ويَـــــزُولُ

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[121]: «لا يجد أهلُ الجنَّةِ مِن أَلَـمِ نَصَبِ الدنيا شيئًا، بل يَنْقَلِبُ راحةً أبدًا.

جميـــعُ آلام لَسْـــع النَّحْـــل يُـــذْهِبُهَا مـا يَجْتَنـي الـمُـــجْتَنِي مِـن لـذَّةِ العَسَـل

**من طَمِـعَ في الوُصول إلى المعالي، صَبَرَ على مُواصَلَة نَصَبِ النهار بسهر الليالي.**

ومن أراد غدًا قُربَنا، فليَصبِرِ اليومَ على أَلَـمِ ضَرْبِنا، فما يُحِسُّ بأَلَـمٍ مَن صَدَقَ في حُبِّنَـا.

فلابد من البَلوى والاختبار، ليتبَّين الصادِقُ اليومَ من الكاذِب، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد: ٣١].

مراتب الدنيا لا تُنالُ إلا بالصَّبر على البَلاء في طَلَبِها والمُجاهَدة، فكيفَ مَن أرادَ مَقْعَدَ صِدْقٍ عند مَلِيكٍ مُقْتَدِر؟!». انتهى.

120- «شرح رياض الصالحين» (3/ 364).

121- «غاية النفع» (الرسائل، 1/ 223)، بتصرف.

**ومنها**: أنَّ الدنيا إذا فاتت، فإنَّ في الآخرةِ نعيمًا أكبر يُنسي بؤسَها، وأما مَن ضيَّع الدين، فقد فاتته الآخرة التي لا تُعوَّض، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، وقد بيَّن اللهُ كَذِبَ هذه الدَّعْوَى بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨]. [122]

وفي قصيدة ابن رجب المليحة في «ذم قسوة القلب»[123] قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

معائِـــبُ هـــذِه الـــدنيا كَثـــيرٌ وأنـــتَ عـــلى محَبَّتِهـــا طُبِعْتَـــا

---

122- انظر كتابي «تسلية المؤمنين بهوان مصيبة الدنيا عند سلامة الدين».

123- «الرسائل» (1/ 268).

## الخسران الحقيقي في ضياع الدين

**ثم قال الناظم:**

**خُسْــرُ الْـخَلِيقَةِ أَنْ تَكُـونَ بِمَعْـزِلٍ          عَـــنْ مِلَّـــةِ التَّوْحِيـــدِ وَالْإِيـــمَانِ**

لقد خسِر وخاب مَن حاد عن شرع ربِّ الأرباب، وضلَّ طريق التوحيد والإيمان، وهوَى في ظُلمات الشرك والكُفران، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[محمد: ١٢].

ومِن شرَف التوحيد أن صاحبَه -وإن خلَّط معه جبالا من الذنوب-، لا يُخلَّد في النار وإن عُذِّب، وأما الشرك، فنجاسته –لعِظَمها- لا تُطَهِّرُها النار.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [124]: «**ومن لم يُحرِق اليوم قلبَه بنار الأسف عَلَى ما سلف، أو بنار الشوق إِلَى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًا.**

**ما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم إلا من لم يُكمِّل تحقيقَ التوحيد والقيام بحقوقه**». انتهى.

**فإنَّ النَّارَ خلَقها اللهُ لإذابة القلوب القاسية، غير أنَّ نجاسةَ الشرك لا تطْهرُ مهما طال مُكثُ صاحبِها في النار**، ولهذا يبقى الكافرُ مخلَّدًا فيها، ولا يصير إلى الجنة أبدا، لأن دارَ الطيِّب المَحض، ولا يدخُلها خبيث.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن تكلم على شروط كلمة التوحيد-[125]: «**نار المحبة**

---

124- نفس المصدر (3/ 65).

125- «جامع العلوم والحكم» (2/ 627).

**في قلوب المؤمنين تخاف منها نار جهنم**». انتهى.

وقال[126]: «**إذا علِقت نارُ المحبة بالقلب، أحرقَت منه كلَّ ما سوى الرب**». انتهى.

وقال[127]: «**نارُ جهنَّم تنطفىء بنور إيمان الموحدين**». انتهى.

**ومعنى هذا**: أنَّ المؤمن إذا قويت محبته لله، وعَظُمت استقامته على دين الله، واستنار طريقه بطاعة الله، لم تحرِقْه نارُ جهنم، **حتى إن المؤمن لَيدخلُ إلى جهنمَ** لِيَشفَع في أصحابه ولا تمسُّه النار بسوء، **فتكونُ عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بردا وسلاما**.

---

126- نفس المصدر (3/ 1176).

127- «كلمة الإخلاص» ضمن الرسائل (3/ 66).

## الوصول إلى الله في الدنيا بالمعرفة والإيمان

**ثم قال الناظم:**

**هَـــذَا الطَّرِيـــقُ إِلَى الْإِلَـــهِ فَشَـــمِّرُوا لَا تُحْبَسُـــوا فِي خَنْـــدَقِ الْـــحِرْمَانِ**

فيا من أراد لنفسه ولأهله النجاة، فـ(**هَذَا**) الذي وضَّحه الناظم في قصيدته الرائقة، هو (**الطَّرِيقُ**) الموصِلُ (**إِلَى الْإِلَهِ**).

**والوصول إلى الله نوعان**[128]:

**أحدهما**: في الدنيا.

**والثاني**: في الآخرة.

**فأما الوصول الدنيوي فالمراد به**: أن القلوبَ تصل إلى معرفته، فإذا عرفته أحبته، وأنِست به، فوجدتهُ منها قريبا ولدعائها مُجيبا.

**وأما الوصول الأُخرَوِي**: فالدخول إلى الجنة التي هي دار كرامة الله لأوليائه.

وهذا الوصول يحتاج من العبد عزيمةً واجتهادًا، ولهذا قال: (**فَشَمِّرُوا**) عن ساعِد الجِدِّ، **وذلك بالسَّعيِ في تحصيلِ كلِّ ما يُعين على إدراك المأمول، وبالبُعدِ عن كلِّ ما يُعيق ويُعطِّل العبدَ عن بلوغَ السُّول.**

وإلى هذا أشار الناظمُ بقوله: (**لَا تُحْبَسُوا فِي خَنْدَقِ الْـحِرْمَانِ**).

**والخَندَقُ**: حَفيرٌ حَوْلَ أسْوارِ المُدُنِ.[129]

---

128- «المحجة في سير الدُّلجة» ضمن الرسائل (4/ 429).

129- «القاموس» (ص 881).

وأضاف الناظمُ الخَندقَ هنا إلى (الْـحِرْمَانِ)، إشارةً منه إلى ظُلمة طريقِ الباطل، الذي يَحرِمُ صاحبَه من الوُصول إلى نور الحَق، ومنازِل الصدق.

**وقال يحيى بن معاذ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**يا ابن آدم لا يزال دينك متمَزِّقا ما دام القلب بحب الدنيا متعلِّقا**»، وقال أيضا: «**ما رَكن إلى الدنيا أحدٌ إلا لزِمه عَيب القلوب، ولا مكَّن الدنيا من نفسِه أحدٌ إلا وقع في بحر الذنوب**».[130]

**فمن كانت نفسُه شريفة، وهِمَّته عالية، لم يرض لها بالمعاصي، فإنَّها خيانةٌ، ولا يرضى بالخيانة إلاَّ مَن لا نفسَ له.**

قال بعضُ السلف: «**رأيتُ المعاصي نَذالة، فتركتُها مروءةً، فاستحالت دِيانة**».

**وقال بعضهم**: «ما أكرم العبادُ أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهانوها بمثل معاصي الله ﷻ، فمن ارتكب المحارم فقد أهان نفسه».[131]

وقال ابن القيم[132]: «**لا تبع لذة الأبد بلذة ساعة**، فإنها أحلام نائم، أو خيال لا ثبات له، فتذهب اللذة، وتبقى التبِعَة، وتزول الشهوة، وتبقى الشقوة». انتهى.

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[133]: «**رأيت سبب الهموم والغموم**: الإعراض عن الله ﷻ، والإقبال على الدنيا، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته. فأما من رُزق معرفة الله تعالى استراح، لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فما قُدر له رضي». انتهى.

130- رواه أبو نعيم في «الحلية» (10/ 52).

131- انظر «رسائل ابن رجب» (1/ 203-204).

132- «زاد المعاد» (4/ 251، بتصرف يسير).

133- «صيد الخاطر» (ص 341).

## خاتمة النظم

**ثم ختم الناظم قصيدته بقوله:**

**هَتَـفَ الْــمُنَادِي حَادِيًـا فِي جَمْعِكُـمْ جَـدَّ الْــمَسِيرُ لِــجَنَّةِ الرِّضْــوَانِ**

أي: هتَف (**الْـمُنَادِي**) الذي يُناديكم (**حَادِيًا**) بصوته (**فِي جَمْعِكُمْ**) معاشِرَ القارئين لهذا النظم، بأنَّه قد (**جَدَّ الْـمَسِيرُ**) لمن صدَق مع ربه (**لِـجَنَّةِ الرِّضْوَانِ**)، التي فيها ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[الزخرف: ٧١]، وأعظم ما فيها رؤية الله جل وعلا، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٧٢].

وفي «نونية» ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُخاطِبًا من اشتاق إلى جنَّة الرحمان، قوله:

أسرِع وحُــثَّ السَّــيرَ جَهــدك إنَّمــا مَســـراكَ هـــذا ســـاعةٌ لزمـــانِ

يقول العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبدُ منذ عقِل أمرَه وعرف النَّجدين فهو يسير إلى الدار الآخرة في ليله ونهاره وحركته وسكونه، **ولكن الخلق يتفاوتون في سيرهم المستقيم وسيرهم المنحرف تفاوتا عظيما**».[134]

**أسأل الله لي ولك –أيها القارئ– التوفيقَ والهدى والسداد، وأن يجزِيَ عنا شيخَنا صالحًا العصيميَّ خيرَ الجزاء، وأن يُـثيبَـه على هذه المنظومة العذبة السَّلِسَة.**

هذا، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآلِه وصحبه وسلم.

134- «توضيح الكافية الشافية» ضمن «مجموع مؤلفات السعدي» (8/ 404).

# فهرس الموضوعات